المحور الأول

التعريف العام بالإسلام

غير مرخصة للطباعة

١٩

تجديد الدين الذي ننشده

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾.

[التوبة: ٣٣].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبـــي هريرة رضي الله عنه، عن رســـول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهـــذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجدِّد لها دينها**». رواه أبو داود.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**». رواه الحاكم في المستدرك.

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

دعيتُ إلى بلاد المغرب الشقيق من زمن بعيد، ولكني كنتُ أعتذر، لما أسمعه من أن الملك يفرض على العلماء أنظمة للقاء والسلام والجلوس، تتنافى مع مقام العالِم الديني الذي يحترم نفسه، ويحترم مهمته في إقامة الشريعة، وتعليمها، وحفظ حرماتها.

ولكن كان سفراء المملكة المغربية في قطر، يقولون: لا تُصدِّق هذا، العالم إن شاء يُقدِّم نفسه مرفوع الرأس، محفوظ الكرامة، ومَن أراد غير ذلك فلن يمنعه أحد.

ولذلك قبلتُ دعوة ملك المغرب لشهر رمضان، قبل أن ينفلت القرن الهجري، سنة ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م، وحضرت إلى الرباط في منتصف الشهر أو قبله بقليل، ولكن حينما حضرت، لم أجد أحدًا يؤدِّي درسًا، ولا أحدًا يُحضِّر لدرس، فقد كان الملك الحسن الثاني يجري عملية جراحية في ذلك الوقت، ويبدو أنه لن يتمكن هذا العام من إقامة الدروس المعهودة، ولم يستطع أحد أن يرد الناس قبل أن يأتوا، فجاء مَن وصلته الدعوة، وباشروا أنشطتهم في جوامع الرباط.

QaradawiBooks.com

ثم رأى الإخوة أن يستغلوا وجودي، ويبعثوا بي إلى بعض البلاد بالمغرب، فبعثوا بي إلى مدينة فاس العريقة الشهيرة لأحاضر في جامع القرويين، كما دعيت لأزور جامعة محمد بن عبد الله التي يعمل فيها العالم الداعية الفاسيّ والمغربي الشهير الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، والذي كان معروفًا لدينا، ولدى كثير من علماء المشرق ودعاته ومفكريه.

ثم انتقلنا بعدها إلى مدينة تازة، وألقيتُ فيها كلمة عن غزوة بدر بمناسبتها، والتقينا بعدها ببعض الشباب في المنطقة. وأظن أننا ألقينا بعض الدروس بالدار البيضاء، والتقينا ببعض الأحباب.

ثم عدنا بعدها إلى مدينة الرباط، ولم أكن أعرف أحدًا من الشباب المسلم المعروف بالتزامه بالإسلام غير الشاب النابه عبد الإله بن كيران، الذي لازمني في تلك الأيام، وصحبني إلى السوق لأشتري بعض الهدايا لزوجتي أم محمد ولأولادي وبناتي، ثم ودعته، ولم أعد إلا سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

وقدمت قبل الموعد بأيام، ونزلت في فندق حسان، واستقبلني علماء البلد بحفاوة بالغة، وكان لبعضهم دروس في تلك الأيام، إلى أن جاءت تلك الليلة التي ألقي فيها درسي، وقال لي الإخوة المغاربة: اليوم يومك، فاستعد.

قلت لهم: أنا والله مستعد بما أعد الله به العلماء: بالإيمان بالله تعالى وبرسوله محمد وما أنزل عليه من الكتاب والحكمة، وأنا أخ لكل الأمة المسلمة، أستمدُّ قُوَّتي من قوَّتها، وقبل ذلك من قوَّة الله ربِّ العالمين.

قالوا: الناس يقولون: هذا يوم فصل بيننا وبين القرضاوي، لنعرف: ما حقيقة كلامه؛ أهو كلام المؤمنين الأقوياء الذين لا يعتزُّون إلا بالله، فنستمسك بهم، ونعتزُّ بهم، ونباهي بهم، أم نرمي به وبكتبه في البحر الذي بجوارنا؟

QaradawiBooks.com

وقلت لهم: لا أقول إلا ما قال المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، الله ربي ولا أشرك به شيئًا.

وكانت الدروس عادة تنطلق من آية قرآنية، أو حديث نبوي، وقد اخترت أن تكون كلمتي حول الحديث النبوي الذي رواه أبو داود والحاكم وغيرهما، عن أبي هريرة، أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة: من يجدِّد لها دينها**».

دخلتُ في تلك الليلة إلى المجلس الملكي، وسلمت على الملك وعلى الحضور، ولم أجد ما كنتُ أسمعه من بعض العلماء من المبالغات، فكنتُ طبيعيًّا جدًّا، ولم يلزمني أحد بشيء أقوم به خلافًا لما هو متبع عندي، وبدأ خطابي متسلسلًا مرتجلًا، لم أخطئ فيه في كلمة واحدة في النحو والصرف، أو أتلجلج في أي فقرة، وكان الحضور جميعًا يسودهم الهدوء، ويشدُّهم الصوت القوي، والبيان المؤيَّد بالقرآن والحديث وأقوال العلماء والأدباء، حتى انتهى الدرس الذي أَعْدَدْتُه.

وبعد أن ألقيت الدرس بغير ورقة أقرؤها، ومتدفقًا تدفقًا طبيعيًّا أمام الناس الحاضرين والمشاهدين من قريب ومن بعيد، سألني جلالة الملك قائلًا: إن ما نحفظه من هذا الحديث: «من يجدد لها أمر دينها»، فما رأي الشيخ؟

قلت: الذين رووا هذا الحديث كلهم ابتداءً من الإمام أبي داود في «سننه»، والإمام الحاكم في «مستدركه»، وفلان وفلان، كلهم رووه بهذا اللفظ: «يجدد لها دينها». وإنما زيدت كلمة «أمر دينها» من الشراح، كالإمام السيوطي والإمام المناوي في كتابه «الجامع الكبير في شرح الجامع الصغير» في ستة مجلدات.

QaradawiBooks.com

وقال الملك، حفظه الله: أنت أعلم. وأوصاني بتوصيل التحية إلى صاحب السمو الشيخ خليفة، وقال: إنا ننتظر عودتك إلينا. قلتُ له: هذا يشرفني. وخرجتُ وأنا في غاية الانشراح، وحمدتُ الله على ذلك.

واعتبر الناس ردِّي على الملك بهذه الصراحة، غاية في القوة والانطلاق الذي يريدونه من العلماء. وأنا لا أعتبر هذا شجاعة ولا بطولة، وإنما قلتُ ما أعتقد أنه الحقُّ، ولم أغيِّر شيئًا في ديني ولا في علمي. وكان الملك مسرورًا من كلامي، ولم يعتبره تحدِّيًا له، وهو كذلك.

وقلت: والله، إني لأحمد الله على ذلك، ولا أقول إلا ما قال نبي الله شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وبعد انتهاء الدرس، عدت إلى الفندق، لأهيئ حقيبتي للسفر، وهو في الصباح. ودعاني بعض الشباب إلى السحور، وقالوا لي: وقفت المغرب من أدناها إلى أقصاها يستمعون إليك: بعضهم شاهدك بالصوت والصورة على التلفاز، وبعضهم استمع إليك من الإذاعة والراديو. قلت لهم بعد الحفل: وماذا فعل الناس؟ هل مزقوا كتبي؟ قالوا: الحمد لله، كان هذا يومًا من أيام انتصار الإسلام في المغرب، لقد سلِمت كتبك من التمزيق، وبدأ الناس يبحثون عنها، ويبحثون عنك، ويبحثون عنا.

بقيت مع الإخوة بعد أن اجتمعت بهم في منزل الأخ عبد الإله بن كيران، إلى أن صلينا الفجر بعد أن تسحَّرنا طبعًا بما لذ وطاب من الطعام والشراب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

QaradawiBooks.com

واستودعتهم الله لأني سأعود من الصباح مسافرًا إلى باريس، وأنزل فيها في أحد الفنادق، وألتقي بالإخوة، ثم أصلي العشاء والتراويح وألقي درسي، ثم أبيت في باريس إلى الصباح لأستقل الطائرة إلى قطر، والحمد لله أولًا وآخرًا.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

الخميس ٩ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ ـ ٢٥ يناير ٢٠١٨م

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تجديد الدين الذي ننشده

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

مولانا الملك المُعظَّم الحسن الثاني، أعزَّه الله بالإسلام، وأعزَّ به الإسلام، السادة الوزراء، الحضور الكريم: قَدِمْتُ من ضفاف الخليج، من أقصى المشرق العربيِّ، من قطر العربية المسلمة، أحمل إليكم وإلى المغرب العربيِّ المسلم الشقيق خير التحيَّات، وخير التحيَّات هي تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

موضوعنا الليلة عن «تجديد الدين الذي ننشده»، انطلاقًا من الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه وصحَّحه، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، والخطيب في التاريخ،

QaradawiBooks.com

وصحَّحه زين الدين العراقي، ورمز له السيوطي بالصحَّة في جامعه الصغير، وأقرَّه على ذلك العلَّامة المُنَاوي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجدِّد لها دينها**»[(١)]. فهو حديث صحيح، وإن لم يرد في الصحيحين، وقد صدَّقه الواقع.

سبب اختيار الموضوع:

وإنما اخترتُ هذا الموضوع لسببين رئيسين:

الأول: مقاومة اليأس من انتصار الإسلام:

أن أقاوم موجة اليأس التي انتشرت بين المسلمين في الزمن الأخير، والظنَّ القائم أنَّ الدين دائمًا في إدبار، وأنَّ الكفر في إقبال، وأنَّنا في آخر زمن، وأنَّه لن تقوم للإسلام دولة، ولن ترتفع له راية، وعزَّز مَن ظنَّ هذا الظنَّ، وفهم هذا الفَهم، ووهم هذا الوهم، بأحاديث وردت في الفتن وأشراط الساعة، ظنُّوا من خلال فَهمهم لهذه الأحاديث، أنَّه لا فائدة من عمل يُرجى، ولا من إصلاح يُنشَد.

واعتمدوا كذلك على أحاديث، مثل حديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(٢)]. مع أنَّ في بعض الأحاديث: قيل: ومَن الغرباء، يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُصلحون ما أفسد الناس**

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه، ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤٢٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤٢٢)، والسيوطي في الجامع الصغير (١٨٤٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بعدي من سُـنَّتي»[١]. فليس الغرباء قومًا سـلبيِّين، وإنما هم مصلحون مُجدِّدون عاملون إيجابِيُّون.

واعتمدوا كذلـك على مثل حديـث أنس، في صحيـح البخاري: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شـرٌّ منه**»[٢]. مـع أنَّ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، في شرحه للبخاري في فتح الباري قال: «ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابـة بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك فيختصُّ بهم، فأما من بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فهم التعميم»[٣].

وإلا لتناقض هذا الحديث مع الواقـع التاريخي، فقد جاء زمن مثل زمن عمر بن عبد العزيز، وكان خيرًا من الأزمنة التي قبله، وأيضًا جاءت الأحاديث بأنَّ الإسلام سـيكون له شـأن في آخر الزمان، هكذا جاءت الأحاديث.

فلا ينبغي إذن أن تُؤخذ هذه الأحاديث التي يتعجَّل بعض الناس في فَهمها، ويسـيئون فَهمها، وينتهون منها إلى أنَّه لم يَعُد هناك سبيل إلى إصلاح، هل يُعقل أن يأتي محمد ﷺ بدين يدعو الناس فيه للدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح الفساد، ثم يقول للناس أحاديث تُثَبِّط هممهم، وتُضْعف عزائمهم عن عمل الخير وخير العمل؟!

---

(١) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠)، وقال: حديث حسـن. والطبراني (١٦/١٧)، عن عمرو بن عوف المزني.

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢١/١٣)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

الأحاديث المبشِّرات:

من هنا كنَّا في حاجة إلى الأحاديث المبَشِّرات، ومنها هذا الحديث الذي معنا، وأحاديث أخرى مثل حديث: «**ليبلغنَّ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، أو ذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**»[(١)]، وحديث: «**مَثَل أمتي مَثَل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره**»[(٢)]. وكم من الأحاديث المبشِّرة نسيها هؤلاء، ينبغي أن تُنشَر.

بل نسي هؤلاء القرآن نفسَه، القرآن الذي يقول الله فيه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥]، ويقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، ويقول: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، ويقول: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

لهذا كانت أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، في حاجة أن ينظر فيها أهل البصيرة من العلماء، حتى تُفهَم على وجهها الصحيح، لهذا

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة منهم: أنس، رواه أحمد (١٢٤٦١)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي بطرقه وشواهده. والترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)، وقال حسن غريب. ومنهم عمار، رواه أحمد (١٨٨٨١)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي بطرقه وشواهده. والطيالسي (٦٨٢)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٢٢٦).

QaradawiBooks.com

اخترتُ حديث: «**إن الله يبعث لهذه الأُمَّــة ...**»؛ لبعث الأمل، وزرع الرجاء في قلوب الأُمَّة المســلمة: أن الله لا يَدَعُها لأنياب الضعف حتى تفترسها، بل ما بين الحيــن والحين يُهَيِّئ لها مَن يجمعها من شــتات، ويوقظها من سبات، ويُحْيِيها من موَات، يُهيِّئ الأســباب والمناخ والظروف الملائمة، لمن يُجدِّد لهذه الأُمَّة أمر دينها، مَن يُجدِّد لها الدين، ومن يُجدِّد بها الدين.

الثاني: الخلط والخبط عند مدعي التجديد:

والســبب الثاني لاختيار هذا الموضوع: هو الخلْط والخبْط الذي نراه عند كثيرين، عندما نراهم يتحدَّثون عن تجديد الدين، فهناك قوم يريدون أن يُجدِّدوا الديــن كأنَّما يريدون أن يُحدثوا طبعــة جديدة منقَّحة من هذا الدين، كأنَّهم يريــدون دينًا جديدًا غير الدين الــذي دعا إليه محمد ﷺ، وطبَّقه خلفاؤه الراشدون من بعده، وعرَفه السلف الصالح من هذه الأُمَّة، وهؤلاء الذين سخر منهم أديب العربية والإسلام، مصطفى صادق الرافعي، حينما قال: إنهم يريدون أن يُجدِّدوا الدين واللغة والشمس والقمر[1].

وقال فيهم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته عن الأزهر:

لا تحــذُ حــذو عصابــة مفتونة ... يجــدون كلَّ قديــمِ أمــرٍ منكرَا
ولو اســتطاعوا في المجامــع أنكروا ... مَــن مات مــن آبائهــم أو عُمِّرا
من كلِّ ســاعٍ في القديــم وهدمه ... وإذا تقــدَّم للبنايــة قصَّــرا[2]

هؤلاء الذين يريــدون أن يُجدِّدوا الدين ويُطَــوِّروه ويُغيِّروه، يُطَوِّروا جوهره. من هنا كنَّا في حاجة إلى أن نُصحِّح مفهوم التجديد لهذا الدين، وهذا الذي جعلني أختار هذا الموضوع.

(١) من عبارة الرافعي على غلاف كتابه تحت راية القرآن.

(٢) الشوقيات صـ ٣١٨، تعليق د. يحيى الشامي، نشر دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

هذا الحديث: «إنَّ الله يبعث لهـذه الأُمَّة»، من الإخبار بالغيب، أخبر به مَن لا ينطق عن الهوى، ﷺ، وإذا أخبر ﷺ عن شيء من أمور الغيب، فإنما أخبره الله به وأطلعه عليه.

لا بدَّ أن نتحدث هنا عن المُجدِّد، وعـن المُجدَّد، وعن المُجدَّد له، وعن معنى التجديد، ومداه، وجوانبه.

من المُجدِّد؟

فمَن المُجدِّد؟ هل المُجدِّد فرد أو جماعة؟ الأكثرون من شُـرَّاح هذا الحديث ذهبوا إلى أنَّ المُجـدِّد فرد واحد، فهموا مـن كلمة «مَن»، في قوله ﷺ: «**مَن يُجدِّد لها**»، أنه شخص واحد، وعلى هذا اشتهر أنَّ مُجدِّد المائة الأولى هو خامس الراشدين، عمر بن عبد العزيز، المتوفَّى سنة مائة وواحد من الهجرة (١٠١هـ)، وأن مُجدِّد المائة الثانية هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي، المتوفَّى سنة مائتين وأربعة من الهجرة (٢٠٤هـ).

واختلفوا في مُجـدِّد المائة الثالثة، هل هو أبو الحسـن الأشـعري (ت ٣٢٤هـ)، أو ابن سُرَيْج (ت ٣٠٦هـ)؟ واختلفوا أيضًا في مُجدِّد المائة الرابعة، هل هو الباقلَّاني (ت ٤٠٢هـ)، أو الصُّعلُوكي (ت ٤٠٤هـ)؟

واتفقوا أنَّ مُجدِّد المائة الخامسة هو أبو حامد الغزالي، المتوفَّى سنة خمسمائة وخمس من الهجرة (٥٠٥هـ).

والسادسـة قالوا: إنه الفخر الرازي، المتوفَّى سنة ستمائة وست من الهجرة «٦٠٦هـ»، وبعضهم قال: الرافعي الشافعي (ت ٦٢٣هـ).

ومُجدِّد المائة السابعة ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)، وهكذا ذهبوا إلى أنَّ المُجدِّد فرد واحد.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ولكن الإمام ابن الأثير في «جامع الأصول»، وكذلك الإمام الذهبي، اختارا أنَّ «مَن» كما أنها تصلح للفرد تصلح للجمع.

قال ابن الأثير بعد أن ذكر الحديث: «ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلًا واحدًا، وإنما قد يكون واحدًا، وقد يكون أكثر منه، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع»[١]. وقال الذهبي: «وإن جعلتَ «مَن يجدد»، لفظًا يصدق على جماعة، وهو أقوى، فيكون على رأس المائة: عمر بن عبد العزيز خليفة الوقت، والقاسم بن محمد، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو قلابة، وطائفة». ثم فعل ذلك في كل قرن.[٢].

«**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجدِّد لها دينها**»، لماذا جعلناه واحدًا؟ مع أنَّ «مَن» تصلح للمفرد، وتصلح للجمع، وقد وردت في القرآن الكريم للجمع، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢]، وكقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

تقول مثلًا: جاء مَن أكرمتُه، وجاء مَن أكرمتُهما، وجاء مَن أكرمتُهم. ولذلك قال ابن الأثير: إنَّ هذا المُجدِّد قد يكون مُحَدِّثًا، وقد يكون فقيهًا، وقد يكون مُفَسِّرًا، وقد يكون حاكمًا من الحكَّام، وقد يكون مجاهدًا في سبيل الله، فالمُجدِّد ليس واحدًا. وقال: إنَّ ما عابه على العلماء من قبل أنَّ كلَّ جماعة كانوا يحملون المُجدِّد على واحد من أهل مذهبهم، فالشافعية يريدون أن يجعلوه شافعيًّا، والمُحَدِّثون يريدون أن

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٣١٩/١١)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وبشير عيون، نشر مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ودار البيان، ط١.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

يجعلوه مُحَدِّثًا، والمتكلِّمون يريدون أن يجعلوه متكلمًا، مع أنَّ التجديد يَسَع الجميع، فقد يكون على رأس المائة عدد من المُجدِّدين.

ولهذا نستطيع أن نقول: إن الذي يقوم بالتجديد والإحياء يمكن أن يكون فردًا أو أفرادًا، أو جماعة من الناس، أو مدرسةً من المدارس الفكرية، أو حركة فكرية أو علمية أو تربوية أو جهادية، يكون المُجدِّد مجاميع مختلفة من الناس، منتشرين في الأرض، مثل ما قال الإمام النووي في شرح حديث: «**لا تزال طائفة من هذه الأُمَّة قائمة على الحق، لا يضرُّهم مَن خالفهم، حتى يأتي وعد الله، وهم على ذلك**»[(١)]. قال: قال بعض الشراح: هم أصحاب الحديث. ولم يرتضِ ذلك النووي وقال: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرَّقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدِّثون، ومنهم زهَّاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين. بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[(٢)].

أي يمكن أن يكون منهم المُحَدِّث والفقيه والمفسر، ويمكن أن يكونوا في بلد واحد، ويمكن أن يكونوا متفرِّقين في البلاد. وهذا هو الصحيح.

لسنا في حاجة إلى أن نُحدِّد شخصًا واحدًا، ونقول هذا هو مُجدِّد المائة الأولى أو الثانية، أو مُجدِّد المائة الرابعة عشرة في قرننا هذا. ولسنا في حاجة أن يدَّعي بعض الناس لواحد من المذهب أنَّه هو المُجدِّد، ولسنا في حاجة إلى أن يدَّعي شخص أنَّه هو المُجدِّد، فإن النبي ﷺ، لم يعطنا علامة معَيَّنة حتى نقول من خلالها هذا هو المُجدِّد،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) شرح النووي على مسلم (٦٧/١٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

QaradawiBooks.com

ولكن العلمـــاء والمؤرِّخين نظروا إلى أبرز الأشـــخاص الذين أثَّروا في حياة الأُمَّة، في فكرها وسلوكها وخُلُقها، وخاصة إذا كان قريبًا من رأس القرن، فقالوا هذا هو المُجدِّد.

ابن تيمية وحركته التجديدية الضخمة:

على حين قد يكون منهـــم مَن تأخَّر بعض الشـــيء عن رأس القرن وكان له أثر كبير، فلا يَعُدُّونه مُجدِّدًا، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، برغم حركته التجديديَّـــة الضخمة في فكر الأُمَّة، وفـــي أخلاقها، وفي مقاومة أعداء الإســـلام، وفي تحرير العقل الإســـلامي، بالرغم من كلِّ هذا لم يَعُدُّوه من المُجدِّدين؛ لأنَّه تأخَّرت وفاته عـــن رأس القرن، حيث تُوُفِّي سنة سبعمائة وثمانية وعشرين من الهجرة «٧٢٨هـ»، بينما هو على رأس القرن كان يعمل.

والحديث لم يقُل: إنَّ الله يَتَوفَّى المُجدِّد على رأس المائة. بل قال: إنَّ الله يبعثه علـــى رأس المائة. يعني أنَّه علـــى رأس المائة يقوم بعمل، فلو اتَّجهنا إلى أنَّ التجديد يمكن أن يكون بعمل جماعي، ما احتجنا إلى أن نُحَدِّد فردًا معيَّنًا، كما فعل ذلك الحافظ السيوطي، فقد قال عن نفسه أنَّه مُجدِّد المائة التاســـعة، فقد تُوُفِّي سنة تسعمائة وإحدى عشرة من الهجرة (٩١١هـ)، قال في رسالة له سمَّاها: «تحفة المهتدين بأسماء المجدِّدين»:

وكان عنـــد المائـــة الأولى عمر ... خليفـــة العـــدل بإجمـــاع وقـــر
والشـــافعي كان عنـــد الثانيـــة ... لما لـــه مـــن العلـــوم الســـارية
وابـــن ســـريج ثالـــث الأئمـــة ... والأشـــعري عَـــدُّه مِـــنْ أُمَّـــةْ
والباقِلَانِـــي رابـــعٌ أو ســـهلٌ او ... الإِســـفراييني خُلْـــف قـــد حَكَوْا
والخامـــس الحبـــر هـــو الغزالي ... وعَـــدُّه مـــا فيـــه مـــن جـــدال

QaradawiBooks.com

والسادس الفخر الإمام الرازي ... والرافعي مثله يوازي
والسابع الراقي إلى المراقي ... ابنُ دقيق العيد باتفاق
والثامن الحبر هو البُلْقيني ... أو حافظ الأنام زين الدينِ
وهذه تاسعةُ المئينِ قدْ ... أتتْ ولا يُخلَف ما الهادي وَعَدْ
وقد رجوتُ أنِّي المُجدِّدُ ... فيها ففضل الله ليس يُجحَدُ

لكن أنكر عليه الآخرون، ومن هنا نقول: إنَّ الأُمَّة كلَّها مطالَبة بالتجديد، لا داعي أن ننتظر التجديد من فرد يهبط علينا من السماء، ليُجدِّد لنا ديننا، فإنَّ هذا هو الذي جعل الناس يتعلَّقون بفكرة «المهدي المنتظر»، ولا يبحثون عن المهدي المنظور، جلسوا ينتظرون من يُجدِّد لهم، وهم قاعدون لا يفعلون شيئًا.

لا ينبغي هذا، كلُّنا ينبغي أن نشترك في حركة التجديد، التجديد ليس من فرد واحد، وإنَّما من جماعة متحرِّكة، كلٌّ يُدلي فيها بدَلْوه، ولو فهمنا التجديد على هذا الأساس، استطاع كلُّ مسلم أن يبذل جهده، ولا يدَّخر وُسعًا، في حركة التجديد المطلوبة للإسلام، هذا هو الذي أفهمه من هذا الحديث: أنَّ الله تعالى يُهيِّئ مَن يقوم بهذا التجديد.

ضرورة التجديد الجماعي في عصرنا:

التجديد في عصرنا ينبغي أن يكون بجماعة من الناس، لا بفرد معين، فنحن في عصر التكتُّلات، ما عاد جُهد الفرد وحده يُغني، وهذا هو الذي يتَّفق مع ما جاء في القرآن، يقول الله تعالى في الخبر الإلهي: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، فهم أُمَّة، وقال في الأمر الإلهي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

QaradawiBooks.com

ويتفق مع ما جاء أيضًا في السنة، فقد جاء في الحديث عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»(١). فلا بدَّ أن نعمل، ونعمل متعاونين، فالفرد مهما كان عطاؤه، ومهما كانت قدرتُه ومواهبه، فهو محدود الطاقة والقدرة، وهو في حاجة إلى غيره، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته، و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**»(٢).

لمَّا كلَّف الله نبيَّه موسى عليه السلام بالرسالة، وهو القوي الأمين، دعا الله عز وجل فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٥]، فقال الله له: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]، وقال له: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا﴾ [القصص: ٣٥]، فكان في حاجة إلى مَن يَشُدُّ عَضُده، ويقوِّي أزره.

والله تعالى قال لرسوله محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، أيَّده بنصره، وأيَّده بالمؤمنين المؤتلفين المترابطين على غاية واحدة مشتركة يعملون لها، فليس بالضرورة إذن أن يكون المُجدِّد فردًا، إنَّما يمكن أن يكون جماعة من الناس، بل عدَّة جماعات، يمكن أن تقوم عدة جماعات بالتجديد، كلٌّ في مجاله.

البعض يضيق ذرعًا بوجود أكثر من جماعة تعمل للإسلام:

بعض الناس يَضيق ذَرْعًا أن توجد أكثر من جماعة تعمل للإسلام، لا مانع أبدًا أن توجد أكثر من جماعة، ولكن على أن تتعاون وتُنسِّق فيما

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

بينها، جماعة تعمل في مجال إصلاح العقيدة، وجماعة تعمل في مجال ضبط العبادة والسلوك، وجماعة تعمل في محاربة السفور والخلاعة، وجماعة تعمل في الجهاد في سبيل الله، وجماعة تعمل في مجال التربية، وجماعة تعمل في المجال الفكري ونشر الثقافة ومقاومة المفاهيم المغلوطة، وجماعة تعمل في مجال الحُكم والسياسة، وهكذا كلٌّ يعمل في مجاله، ويكون هذا اختلاف تَنَوُّع وتخصُّص، لا اختلاف تَضَادٍّ. فلا مانع من هذا أبدًا، فكلٌّ يقوم بنصيبه في حركة التجديد المنشودة، طبعًا يتفاوت الناس، فأهل الحُكم عليهم مسؤولية أكبر من غيرهم، وأهل العلم كذلك، ولكنَّ الجميع مُطالَب أن يُسهم، وأن يؤدِّي دوره في تجديد الدين، هذا هو معنى مَنْ يُجدِّد.

مَن المُجدَّد له؟

عرَفنا المُجدِّد، فمَن المُجدَّد له؟ المُجدَّد له هو هذه الأُمَّة، كما في الحديث: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة**». فالمُجدَّد له هو هذه الأُمَّة، الأُمَّة الإسلامية، أُمَّة الإجابة، وكأنَّ النبي ﷺ، استحضر الأمَّة أمامه، وخاطبها بأجيالها وقرونها المختلفة، وأشار إليها بقوله: «إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة»، وإذا ذُكرت الأُمَّة في القرآن أو في السنة فليست إلا الأُمَّة الإسلامية، فهي أُمَّة ليست مبنية على أساس عنصري، ولا على أساس إقليمي، ولا على أيِّ أساس إلا على أساس الإسلام، إنها الأمَّة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهي الأُمَّة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والمذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وهي أُمَّة واحدة ليست أممًا، فمن الخطأ أن نقول: الأمم الإسلامية. كما يقول كثير من الناس، ولكنها شُعوب إسلامية لأُمَّة إسلامية واحدة،

QaradawiBooks.com

أُمَّة ذات شُــعوب، فالتجديد لها، التجديد الكامل يكون على مســتوى الأُمَّة، ولكن هناك تجديد جزئي، قد يكون التجديد لقُطْر دون قُطْر، في بيئة دون بيئة، في فئة دون فئة، في جانب من الحياة دون جانب، كلُّ هذا يمكن أن يشمله التجديد.

أمَّا التجديــد المطلق، التجديد الكامل، فهو الــذي يُجدِّد هذه الأُمَّة كلَّها، كمــا كان فعل عمر بن عبد العزيز، فقــد كان تجديده للأُمَّة كلِّها، حيث كان خليفة المسلمين عامة.

ماذا يُجدِّد؟

عرفنا المُجدِّد، والمُجدَّد له، فماذا يُجدِّد؟ أو ما الذي يُراد تجديده؟ إنَّ الذي يُجدَّد هو الدين، فالحديث يقــول: «يُجدِّد لها دينها». فالتجديد للدين، لأنَّ الدين هــو رُوح الأُمَّة، إذا تجدد دين الأُمَّــة تجددت الأُمَّة كلُّها، وبخاصة الأُمَّة الإسلامية. الدين للأُمَّة الإسلامية ليس شيئًا ثانويًّا، ولا على هامش حياتها، إنَّه رُوح وجودها، وسرُّ بقائها، فإذا تجدَّد دينها، تجدَّدت الأُمَّة كلُّهــا، والفترات التــي رأينا فيها المــدَّ والانتصار، هي الفترات التي قوِي فيها الدين، وقوِي فيها الإســلام، وقد جرَّبنا أن هذه الأُمَّة مِفتاح شــخصيتها في دينها، كما أنَّ للســيارة مِفتاحًا بلمســة منه يســتطيع الإنســان أن يُحركها، ويدفعها إلى الأمام، فكذلك الشخصية الإنسانية لها مِفتاح، مِفتاح الشخصية الإسلامية هو الدين، هو الإيمان.

هذه الأُمَّة تستطيع أن تفعل العجائب:

تســتطيع أن تفعل بهــذه الأُمَّة العجائــب، وتقتحم بهــا العقبات، وتخوض بها اللُّجج، وتصنع بها المســتحيلات، إذا حرَّكتَها باسم الله،

QaradawiBooks.com

بالإيمان والديـــن، بأحلام الجنة، إذا قال لها قائـــل: الله أكبر، أو يا رياح الجنة هبِّي، أو يا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سيري. إذا قيل لها ذلك انطلقتْ وراءه بالملايين، ولكن بأيِّ شيءٍ آخر لم ولن تتحرَّك الأُمَّة.

الإسلام هو مُحرِّك هذه الأمة:

طالما رأينا أناسًا عزفوا على نغمة القوميَّة، أو على نغمة الاشتراكيَّة، أو علـــى نغمة الديمقراطية، فلـــم يحركوا في الأُمَّة ســـاكنًا، ولكن حين تقول: الله أكبر. حينما ترفع المصحف، ستجد هذه الأُمَّة وراءك، فالإسلام هو مُحرِّك هذه الأُمَّة الأوْحد، ولذلك جعـــل النبي ﷺ تجديد الدين هو مُجدِّد الأُمَّة، فإذا تجدَّد الدين تجدَّدت الأُمَّة كلُّها.

نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي جدَّدا دين الأمة:

يوم جاء نور الدين محمود الشهيد، ويوم جاء صلاح الدين الأيوبي ماذا فعلوا؟ إنَّهم جدَّدوا دين الأُمَّة فتجدَّدت الأُمَّة، كان صلاح الدين يمرُّ على الخيام بالليل في حطِّين، فإذا وجد خيمة فيها مَن يذكر الله، أو يتلو القرآن، أو يُسَبِّح أو يُهلِّل أو يُكبِّر أو يُصلي، قال: الحمد لله بهذا ننتصر. فإذا وجد أهل خيمة كلَّهم نيامًا، قال: أخشـــى أن تأتي الهزيمة من هنا. وهكذا حركوا الأُمَّة باسم الإسلام، باسم الدين.

المُظفَّر قُطُز وانتصار عين جالوت:

المُظفَّر قُطُز في معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة «٦٥٨هـ»، وبعد سنتين من سقوط بغداد، بعد أن ظنَّ الناس الظنون أنَّه لن تقوم للإسلام قائمة بعد اليوم، وأنَّ بِساط الإسلام قد طُوِيَ للأبد، بعد سنتين فقط كانت معركة عين جالوت،

QaradawiBooks.com

ولما رأى قُطُز في أول الأمر الناس أدبروا من هول ما كانوا يسمعون عن التتار، حتى كان المثل السائر آنذاك: إذا قيل لك: إنَّ التَّتَر قد انهزموا فلا تُصدِّق. أُسطورة القوَّة التي لا تُقهر، والشوكة التي لا تُكسر ـ رمى قُطُز خُوذته على الأرض، وصاح صيحته التاريخية المعروفة: واإسلاماه. هنالك أقدم المُحْجِم، وثبت المتردِّد، ورجع الفارُّ، وكانت الدولة للمسلمين، وكان النصر لهم. فبالدين إذن تتحرَّك الأُمَّة، وليس بشيء غيره.

التجديد ليس منصبًّا على أصول الإسلام:

فالمُجدَّد إذن هو دين هذه الأُمَّة، والدين له معنيان:

المعنى الأول: الدين بمعنى المنهج الإلهي، الذي يرسم للناس سبيل حياتهم في علاقتهم بالله، وعلاقة بعضهم ببعض. والدين بهذا المعنى يشمل العقيدة والشريعة والعبادة والأخلاق، والنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، الذي رسمه الله تعالى للناس، أو كما قال التهانوي: الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم، إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل[1].

والدين بهذا المعنى في أُسُسه وأصوله ثابت، لا يتغيَّر ولا يتجدَّد.

ولكن للدين معنى آخر، هو الذي يحدِّد صلة الأُمَّة بهذا الدين، فَهْمًا له، وإيمانًا به، وعملًا والتزامًا لتعاليمه، وهو بهذا المعنى يقبل التجديد، ولذلك كان نصُّ الحديث: «يُجدِّد لها دينها». ولم يقل يُجدِّد لها دين الله، يعني يُجدِّد فَهمها للإسلام، وإيمانها بالإسلام، وعملها بالإسلام وللإسلام، هذا هو الذي يحتاج إلى التجديد، وهذا هو المُجدَّد.

(١) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون (١/ ٨١٤)، تحقيق د. علي دحروج، ترجمة د. عبد الله الخالدي، نشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

فالتجديد ليس منصبًّا على أصول الإسلام، ولا على عقائد الإسلام، ولا على عبادات الإسلام، ولا على الشرائع القطعيَّة الثابتة في الإسلام، ليس هذا هو التجديد.

ليس التجديد أن نُصْدِر طبعة جديدة مُنَقَّحة من الإسلام، أو أن نُغيِّر في كلِّ حين حسب أهواء الناس، ويصبح الإسلام عجينة ليِّنة، يُشكَّل حسب الأهواء، حسب أهواء الحُكَّام تارة، وحسب أهواء الشُعُوب تارة أخرى، إذا سادتْ الرأسمالية كان الإسلام رأسماليًّا، وإذا سادت الاشتراكية كان الإسلام اشتراكيًّا، وإذا سادت الديمقراطية كان الإسلام ديمقراطيًّا، وإذا سادت الديكتاتورية كان الإسلام فرديًّا ديكتاتوريًّا، هذا غير مقبول بحال.

الإسلام يحكم أهواء الناس ويضبطها بشرع الله:

الإسلام جاء ليَحْكُم أهواء الناس، ويضْبطها بشرع الله، فلو أصبح الحاكم محكومًا، وأصبح المتبوع تابعًا، وأصبح القائد مقودًا، انقلبت الموازين، وصدق الله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. المفروض أنَّنا نَقِيس سلوك الناس وأهواءهم وتقاليدهم وأخلاقهم بمقياس ثابت لا يتغيَّر، مقياس لا يضلُّ ولا يُخطئ، هذا المقياس هو دين الله ﷻ، ولكن حينما يكون هذا المقياس نفسه متغيِّرًا لم يصبح مقياسًا، إذا كان يستقيم باستقامة الناس، ويعْوَجُّ باعوجاجهم، ويتغيَّر بتغيُّرهم، لم يَعُد هناك شيء يُرجَع إليه، ولا يُحْتكم إليه، التجديد من هذا النوع مرفوض، لأنَّ معنى هذا أنَّنا نلعب بالإسلام.

الإسلام لا يرفض التجديد، لا يرفض أن يُجدَّد دينُ الأُمَّة، لا دين الله، لا يرفض أن يُجدَّد دين الأمة، أن يُجدَّد فَهمها للإسلام، ليكون فَهمًا

QaradawiBooks.com

صحيحًا، كما فهمه السلف الصالح، خير القرون من هذه الأمَّة، «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[١].

معنى التجديد:

ما معنى كلمة «التجديد»؟ تجديد الشيء يعني العودة به إلى يوم نشأ وظهر، يعني العودة به إلى قِدَمه يوم بدأ، فليس معنى التجديد تغيير طبيعة الشيء، أو استحداث شيء مُبتكَر، لو أردنا تجديد مبنى أثري عريق، فما معنى تجديده؟ أيعني تجديده أن نهدم القديم، وأن نُقيم شيئًا مُسْتحدَثًا على أحدث طراز مكانه؟! هذا ليس تجديدًا.

التجديد حقًّا هو: أن نُبْقي على جوهره، وعلى خصائصه ومُقوِّماته ومعالمه الرئيسية، بل وحتى طريقة نقشه وزخرفته، لكنَّنا نُرمِّم ما تهدَّم منه، وما فعلتْه فيه عوامل التعْرية. كذلك التجديد للدين، نُبقي على جوهر الدين، وعلى خصائصه ومقوِّماته. نُحْسِن عرض الدين، نفهمه فهمًا جديدًا، في ضوء النصوص القطعية، في ضوء المقاصد العامة للشريعة.

منطقة محرمة لا مجال فيها للتجديد:

هناك منطقة في الدين مُحرَّمة لا يدخلها اجتهاد، ولا يدخلها تجديد، منطقة ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، هذه هي التي تُمثِّل الوَحدة الفكرية، والوَحدة السلوكية للأُمَّة، وهذه لا مجال فيها لاجتهاد مُجتهد، ولا لتجديد مُجدِّد، وذلك كوجوب الواجبات، وتحريم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٣١٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥)، عن عمران بن حصين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المُحرَّمات، وأصـــول الفضائل، وأصـــول الرذائل، وما عُلِـــم من الدين بالضرورة، فكلُّها أمور لا مجال فيها للاجتهاد ولا للتجديد.

التجديد في منطقة النصوص الظنيَّة:

وهناك منطقتان أُخريان يدخلهما التجديد:

المنطقة الأولى: منطقة النصوص الظنية:

ســـواء كانت ظنية فـــي ثبوتها، أو ظنيـــة في دلالتهـــا، وهذه معظم نصوص الشـــريعة، فمن فضل الله علينا أنَّه لم يُقيِّدنـــا بنصوص مُحْكَمة قاطعة إلا فـــي القليل، ومعظم النصـــوص جاءت ظنيـــة لتفتح المجال لاجتهاد المجتهدين، فنجد المدرســـة الحَرْفية، مثل مدرســـة الظاهرية، والمدرســـة الأثَريـــة، التي تهتـــمُّ بالأثر، ومدرســـة الرأي، والمدرســـة المتوسطة. نجد هذه الأفهام.

وقد ثبت هذا في زمن النبي ﷺ، كما فـــي قضية بني قريظة، عندما قال النبي ﷺ للصحابة يوم الأحزاب: «**لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة**». فأدركوا العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلِّي حتى نأتيها. وقال بعضهم: بـــل نصلِّي، لم يُرِد منا ذلك. فذُكِـــرَ ذلك للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدًا منهم[1].

فجماعة أخذوا بالظاهـــر، وجماعة أخذوا بالفحـــوى والرُّوح، وبلغ النبيَّ ﷺ فعلُ الفريقين، فما عنَّف هؤلاء ولا هؤلاء، وأَقرَّ الاجتهاد.

فهناك نصوص ظنية الدلالة وظنية الثبوت.

(١) متفق عليـــه: رواه البخاري في المغازي (٤١١٩)، ومســـلم في الجهاد والســـير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

القرآن قطعي الثبوت، ولكنْ فيه نصوص ظنِّية الدلالة، أمَّا السنة ففيها ظنِّي الثبوت وهو الأكثر، وقطعي الثبوت وهو المتواتر، وهو الأقل، والأكثر ظني الدلالة، وهنا نجد مجالًا لاجتهاد المجتهدين، لنفهم الأمور من جديد، في ضوء ظروفنا وفي ضوء حياتنا، ومقاصد شريعتنا، فهذه المنطقة الظنية.

المنطقة الثانية: منطقةٌ لا نص فيها:

هي المنطقة التي لا نصَّ فيها؛ لأن الشريعة لم تَنُص على كلِّ أمر، إنها نصَّت على أمور، وهي التي لا تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والحال، وتركتْ أشياء لا نصَّ فيها، كما جاء في الحديث عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تُضيِّعوها، وحرَّم حُرمات فلا تَنتهكوها، وحدَّ حُدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**»[(١)].

منطقة العفو:

وهذه المنطقة يسمِّيها العلماء: «منطقة العفو»، أخذًا من قول النبي ﷺ: «**وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن نسيًّا**». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(٢)].

---

(١) رواه الدارقطني في الرضاع (١٨٣/٤)، والطبراني (٢٢١/٢٢)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وحسنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٥٠/٢): حسنه أبو بكر السمعاني في أماليه. عن أبي ثعلبة.

(٢) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون.

QaradawiBooks.com

ومنطقــة العفو هذه هي منطقــة الفراغ التشــريعي، والتي يمكن أن نملأها عن طريق القياس على المنصوص، أو عن طريق الاســتصلاح، كما يقوله المالكية وغيرهم، أو عن طريق الاستحسان، أو عن طريق سدِّ الذرائع، أو عن طريق رعاية العُرْف، وطُرُقٍ شــتَّى، فأمامنا مُتَّسَعٌ لمَلء هذا الفراغ.

إذن هناك مناطق مفتوحــة للتجديد، ومناطق لا يمكــن أن يدخلها التجديد بحال.

الرد على مَن يريدون تطوِير الإسلام كلِّه:

الذين يريدون أن يُطوِّروا الإســلام كلَّه: بعقائــده، وعباداته، وقِيَمه الأخلاقية، وقطعيات شريعته؛ مخطئون، فهؤلاء لا يقفون عند حد، إنَّهم يقولون: لا حاجة لنا بأقوال الفقهاء، وإنَّما هم بشر ونحن بشر، هم رجال ونحن رجال.

ولو سلمنا لهم وطرحنا الثروة الفقهية كلَّها، لجاؤوا إلى السنة وقالوا: لا نستطيع أن نأخذ منها إلا القطعي، إلا المتواتر.

ولو ســلَّمْنا لهم لجاؤوا أيضًا إلى القرآن وقالوا: القرآن جاء مراعيًا للبيئــة، فإنَّه حين حَرَّم الخنزيــر، حَرَّم خنازير كانت ســيئة التغذية، أما الخنازير التي تُربَّى في الحظائر التي يُشْرف عليها متخصصون، وتحت إشراف طِبِّي، وعناية صحية، فهذه ليست كتلك.

والخمر إنَّما حُرِّمتْ في بلاد حــارة، ولو نزل القرآن في بلاد باردة، لكان له مع الخمر شــأن آخر، والمرأة كان لها نصف الميراث؛ لأنَّها لم تكن تعمل كالرجل، ولم يكن لها الاستقلال الاقتصادي. ومعنى هذا أنَّنا

QaradawiBooks.com

لو سِـرْنا وراء هؤلاء ما بقي لنا شـيء، لم يبقَ لنا شرع، وجعل هؤلاء أنفسهم مشرِّعين في كلِّ الأمور.

نحن نقـول لهؤلاء: إنَّ الله أنزل شـرعه ليَحكُم لا ليُحكَـم، ولِيُتبَع لا ليَتْبَع، فالشـرع ميزان، والميزان يجب أن يُحتكَـم إليه، ونقول لمَن يُطالبون بتطوير الإسلام: إذا كنتم تطالبون الإسلام أن يتطوَّر، فأوْلى بكم أن تطالبوا التطوُّر أن يُسْلِم. بدل أن نُعَصْرِن الإسلام كما تقولون، أو أن نُحَدِّث الإسـلام كما تريدون، يجب على العصر أن يُسْلِم، وأن يخضع لمقتضيات الشرع القطعي. لا ينبغي أن نخلط بين ما يجوز فيه الاجتهاد والتجديد، وما لا يجوز.

لا يملك أحد إغلاق باب الاجتهاد:

والقول بغلق باب الاجتهاد قول لم يقله إمام، قاله بعض المقلدين، والمقلِّد لا يُقلَّد. ثم مَن قال من الأئمة: إنَّ باب الاجتهاد قد أُغلق؟! مَن الذي يملك إغـلاق باب فتحه النبي ﷺ؟! ومَن الذي نسـخ النصوص التي أقرَّت الاجتهاد؟! إنَّ الاجتهاد قائم وثابـت، ولذلك رأى الحنابلة ومعهم بعض علماء المذاهب الأخرى: أنَّ أيَّ عصر لا يخلو من مجتهد، ولا يجوز أن يخلو من مجتهد[1]. وألَّف في ذلك الإمام السيوطيُّ رسالة بعنوان: «الرد علـى مَن أخلد إلى الأرض، وجهـل أن الاجتهاد في كلِّ عصر فرض».

(١) قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد: لا يخلو العصر عن مجتهد، إلا إذا تداعى الزمان وقربت الساعة. انظر: النجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (١٤٩/١٠)، نشر دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

المُسْتجَدَّات الكثيرة التي تحتاج إلى اجتهاد في عصرنا:

فالاجتهاد فرض في كلِّ عصر، ولو جاز ألا يكون هناك مجتهد ولا اجتهاد في عصر ما، فلا يجوز في عصرنا أن يقال هذا؛ لأن الحياة قد تغيَّرتْ، الحياة في العصور الماضية كانت بطيئة التغيُّر، كانت رتيبة، أمَّا عصرنا فقد جدَّتْ فيه أمور، أصبحتْ تحتاج إلى اجتهاد وإلى إعمال فكر، وهذا ليس في المعاملات فحسب، بل حتى في العبادات.

الاجتهاد في ثبوت الهلال:

ففي الصوم مثلا كيف نُثْبت الهلال؟ لا زال بعض الناس يرفضون أن نستخدم المراصد في رؤية الهلال، ويفرضون على الناس أن يتراءوا الهلال بالعين المجرَّدة، مَن قال هذا؟! والنبي ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»[1].

فمن قال: إن الرؤية لا بد أن تكون بالعين المجردة؟ ألسنا نستخدم النظارات المُكبِّرة للقراءة؟ ألسنا نستخدم مُكَبِّرات الصوت؟ فلماذا لا نستخدم المراصد؟ بل إنَّ الإمام السبكيّ يرى أنَّ الحساب الفلَكيَّ إذا كانت مقدماته قطعية، ينبغي أن يُؤخذ به في النفي لا في الإثبات.

أي أنَّه إذا نفى الحساب الفلَكي أن يولد الهلال، ونفى إمكان رؤيته، فإنَّ القاضي لا يجوز له أن يعتبر الشهود في هذه الحالة، بل يرفض الشهود إذا قال الحساب القطعي لا يمكن الرؤية، فالظني لا يعارض القطعي.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يقول: «وها هنا صورة أخرى، وهو أن يدلَّ الحساب على عدم إمكان رؤيته، ويدرك ذلك بمقدمات قطعية، ويكون في غاية القرب من الشمس، ففي هذه الحالة لا يمكن فرض رؤيتنا له حسًّا؛ لأنه يستحيل. فلو أخبرنا به مخبر واحد أو أكثر ممن يحتمل خبره الكذب أو الغلط، فالذي يتَّجه قبول هذا الخبر وحمله على الكذب أو الغلط، ولو شهد به شاهدان لم تقبل شهادتهما؛ لأن الحساب قطعي، والشهادة والخبر ظنيان، والظن لا يعارض القطع، فضلًا عن أن يقدَّم عليه.

والبينة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكنًا حسًّا وعقلًا وشرعًا، فإذا فرض دلالة الحساب قطعًا على عدم الإمكان، استحال القبول شرعًا لاستحالة المشهود به، والشرع لا يأتي بالمستحيلات، ولم يأتِ لنا نصٌّ من الشرع أن كلَّ شاهدين تقبل شهادتهما، سواء كان المشهود به صحيحًا أو باطلًا»[1]. والإمام السبكيُّ كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد في عصره، وكان له إدراك وإلمام بعلم الفَلَك، مثل هذه الآراء موجودة في الصوم.

وفي الحج، ما زلنا إلى اليوم نختلف، ونرى الذبائح تُرمى في منى وتلقى، ولا ينتفع بها أحد، مع أنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

لا بد من إعمال الرأي وتقديم البدائل عن الحرام:

إذا كان هذا في العبادات فكيف بالمعاملات وقد جدَّتْ في عصرنا أمور كثيرة، ومؤسَّسات تحتاج إلى فتوى؟ فلا بدَّ لنا أن نُعمِل الرأي، لا بدَّ لنا أن نجتهد، حتى لا يقول قائل: إنَّ الإسلام لا يصلح لهذا

(١) فتاوى السبكي (٢٠٩/١)، نشر دار المعارف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العصر. أو يقول: إنَّ علماء الإسلام لم يُقدِّموا لنا البديل، بل فقط يقولون: هذا حرام، وهذا حرام. ولم يقولوا لنا: ما الحلال؟ ولم يُقدِّموا لنا البدائل. فواجب علينا أن نُقدِّم للناس البدائل، ليستطيعوا أن يستغنوا بالحلال عن الحرام، وما حَرَّم الله تعالى شيئًا، إلا وفي الحلال ما يُغني عنه.

الدعوة إلى الاجتهاد من أهله:

لا يمكن أن يُحرِّم الله على الناس شيئًا يُضطرون إليه أو يحتاجونه، لهذا نحن ندعو إلى الاجتهاد، ندعو إلى الاجتهاد من أهل الاجتهاد، وليس اجتهاد الأدعياء ولا المُتطفِّلين، الذين لم يملكوا مؤهِّلات الاجتهاد، ولم تتوفر فيهم شروطه، وإنَّما أتَوا البيوت من غير أبوابها، ويريدون أن يقول الناس عنهم: إنهم مجتهدون.

فالتجديد في هذا الجانب لا بدَّ منه.

تجديد الفهم للإسلام:

نحن نحتاج إلى تجديد في الفقه والفَهم والفكر، ولكني أقول: إنَّ الاجتهاد ليس خاصًّا بالعلماء، نحن نحتاج إلى تجديد الفَهم بالنسبة لعامَّة المسلمين وجماهيرهم، لقد فُهم الإسلام خطأ، أخطأ كثير من الناس فَهم الإسلام. أخرجوا من الإسلام ما هو منه، وأدخلوا فيه ما ليس من صُلبه، وقدموا فيه ما حقُّه التأخير، وأخَّروا ما حقُّه التقديم، وهذا شرُّ ما يصاب به الإسلام، أن تزيد في الإسلام ما ليس منه، وهذا هو الابتداع. أو أن تحذف من صُلب الإسلام ما هو منه، وهذا للأسف هو ما نجده في عصرنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض الناس يريدون الإسلام نسخة من الأديان الأخرى، أو من المذاهب الأخرى: يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد، أو عقيدة بلا شريعة، أو زواجًا بلا طلاق، أو دينًا بلا دولة، أو حقًّا بلا قوة، أو مصحفًا بلا سيف. والحقيقة هي أنَّ الإسلام هو هذا كلُّه، الإسلام عقيدة وشريعة، ونظام حياة متكامل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

شمول الإسلام لحياة الإنسان:

إنَّ الإسلام دين يصحب الإنسان من المهد إلى اللحد، من الميلاد إلى الوفاة، من صرخة الوضع، إلى أنَّة النَّزع، يصحبه في رحلة الحياة كلِّها، بل يصحب الإنسان حتى قبل أن يُولد، وبعد أن يموت، فهناك أحكام في الشريعة تُشْرع للجنين في بطن أمِّه: أحكام تتعلق بالحمل والوضع والرضاعة.

وأحكام تتعلَّق بالإنسان بعد موته: أحكام الجنائز، كيف يُغسَّل الميت؟ وكيف يُكفَّن؟ وكيف يُدفن؟ وكيف يُصلَّى عليه؟ وكيف تُوزَّع تركتُه؟ وكيف تُقضَى حقوقه وديونه؟ وكيف تُنفَّذ وصاياه؟

كذلك يصحب الإسلام الإنسان في جوانب الحياة كلِّها: لا يصحبه في المسجد فقط، وإنَّما يصحبه في المسجد، وفي السوق، وفي البيت، وفي المزرعة، وفي المتجر، وفي الديوان، وفي جوانب الحياة كلِّها.

الفهم الشُّموليّ للإسلام:

نحن في حاجة إلى أن نفهم الإسلام فَهمًا شموليًّا، بدل هذا الفَهم التجزيئي، وأن نفهمه فَهمًا متوازنًا، فبعض الناس يأخذون من الإسلام

QaradawiBooks.com

جزءًا ويُضَخِّمونه، فينمو نموًا سرطانيًّا على حساب أجزاء أخرى، فهناك مَن يبالغ في الجانب العبادي على حساب الجانب الأخلاقي مثلًا، وهناك مَن يبالغ في الجانب الأخلاقي على حساب التعبُّد، وهناك مَن ينسى أنَّ الإسلام جاء بالنظام للحياة الإسلامية: النظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، والنظام السياسي. جاء ليُقيم العدالة في الأرض، لا بدَّ أن نوازن بين هذه الأمور كلِّها.

جاء الإسلام بشُعَب أساسية ثلاث:

للإسلام شُعَب ثلاث أساسية:

شعبة الفرد:

شُعبة تتجه إلى الفرد، فتصلح نفسه بالتزكية، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

شعبة المجتمع:

وشُعبة تتجه إلى المجتمع، فتصلحه بالعدالة والتكافل.

شعبة الحكم:

وشُعبة تتجه إلى الحكم، فتصلحه بالشورى.

إصلاح الفرد بالتزكية:

لا بدَّ من هذه الشعب الثلاث، لا بد أن نُصلح الفرد، فهو أساس المجتمع، وإصلاح الفرد إنما يكون بإصلاح نفسه، بإصلاح أخلاقه. إذا غيَّرنا نفس الفرد تغيَّر المجتمع، لا يقول الإسلام ما تقول الماركسية:

QaradawiBooks.com

غيِّر الاقتصاد وعلاقات الإنتاج يتغيَّر التاريخ. بل يقول: غيِّر نفسك يتغيَّر التاريخ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولذا كان عمل النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة هو تربية الفرد المؤمن؛ لأن الفرد أساس المجتمع المؤمن فيما بعد. فهذه الشُّعبة، شُعبة التزكية هي الأساس.

إصلاح المجتمع بالعدالة والتكافل:

وتأتي الشُّعبة الاجتماعية: شُعبة العدالة والتكافل، فالإسلام يريد مجتمعًا متكافلًا، يقف القوي فيه بجانب الضعيف، ويحنو الغنيُّ فيه على الفقير، ولا يعيش المجتمع طبقات متناحرة، يحسد بعضها بعضًا. لا يُجيز الإسلام أن يوجد في مجتمعه مَن يأكل حتى يضع يده على بطنه من زحمة التُخْمة، وآخر يجوع حتى يضع يده على بطنه من عَضَّة الجوع، لا يجوز أن يكون هذا في المجتمع الإسلامي، ووجود هذا التباين الاجتماعي هو الذي يتيح للمبادئ الهدامة أن تُعشِّش وتُفرِّخ.

قيل: يؤثر عن علي بن أبي طالب أنه قال: لو تمثَّل لي الفقر رجلًا لقتلتُه. وجاء في الحديث: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»[1]، وقال بعض السلف: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر: خذني معك.

وبتعبير عصرنا تقول الشيوعية للفقر: إذا ذهبْتَ إلى بلد، خذني معك. لأنَّ الشيوعية إنَّما تجد ضحاياها بين هؤلاء المحرومين، تُثير أحقادهم على أولئك الذين ينفقون الملايين، وبجوارهم آخرون لا يجدون الملاليم.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦١٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٦١٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الزكاة تنظيمٌ اجتماعيٌّ:

الإسلام يُقيم العدالة، وهو أول دين في الأرض جعل في أموال الأغنياء حقًّا معلومًا، يُؤخذ كَرْهًا إن لم يُدفع طَوْعًا، ويُقاتَل عليه بحدِّ السلاح، هذا الحقُّ المعلوم هو الزكاة، فالزكاة ليست صدقة تطوُّعية، وليست إحسانًا اختياريًّا، إنَّما هو حق معلوم فرضه الله تعالى على الأغنياء في مال الفقراء، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤ ـ ٢٥].

وهذا الحقُّ هو من شأن الدولة المسلمة، تأخذه من الأغنياء وتعطيه المستحقِّين، ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالزكاة حق يُؤخذ، لذا جعل الله من مصارف الزكاة مصرِفًا للعاملين عليها، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]. ومن هنا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أولَ حاكم في التاريخ يقاتل ويَشُنُّ الحرب من أجل انتزاع حقوق الفقراء من الأغنياء، وقال كلمتَه المعروفة: والله لو منعوني عقالًا ـ حبل بعير ـ كانوا يؤدُّونه لرسول الله لقاتلتُهم عليه[1].

فلا بدَّ إذن من العناية بهذه الشُعبة، الشُعبة الاجتماعية، شُعبة العدالة والتكافل. ولا بد كذلك من الشُعبة الأخرى، شُعبة الشورى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إصلاح الحُكْم بالشُّورى:

لا بد من تثبيت الشورى في المجتمع المسلم، فالحكم في الإسلام يقوم على أساس الشورى، وكان النبي ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه، رغم أنَّه المؤيَّد المعصوم، وقال الله تعالى له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وجاء هذا بعد غزوة أحد التي شاور فيها أصحابه، ونزل فيها عن رأيه إلى رأي أصحابه، وكانت النتيجة استشهاد سبعين من خيار الصحابة، ومنهم حمزة رضي الله عنه، أسد الله وأسد رسوله، ومع هذا قال الله له: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي اثبُت على المشاورة مهما تكن نتائجها.

الشُّعَب الثلاث في آيةٍ واحدةٍ من سورة الشُّورى:

وقد جمعتْ آية واحدة من سورة الشورى هذه الشُّعَب الثلاث، الشُّعبة التي تتَّجه إلى الفرد فتصلحه بالتزكية، والشُّعبة التي تتَّجه إلى المجتمع فتصلِحَه بالتَّكافُل، والشُّعْبة التي تتَّجه إلى الحُكْم فتُصلِحَه بالشُّورى، جمعتْ آيةٌ واحدةٌ هذه الشُّعَب الثلاث، وهي قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

الفهم الشُّموليّ المتوازن المتكامل للإسلام:

نحن في حاجة إلى أن نفهم الإسلام فَهمًا شُمُوليًّا مُتوازنًا مُتكاملًا دون زيادةٍ فيه ودون انتقاصٍ منه، ودون إخلال بنِسَبه، ودون تشْويهٍ لمعالمه.

QaradawiBooks.com

الإسلام كاملٌ لا يقبل الزيادة:

هناك مَن زادوا على الإسلام ما ليس منه، المبتدعات التي كدَّرت صفاء الإسلام، وألصقت بالإسلام ما ليس منه، وهذا يحدث عادة في عصور المدِّ الإسلامي، وهذا مردودٌ عليهم، كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَن أحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(١)].

الانتقاص من الإسلام مرفوض:

وهناك مَن حاول الانتقاص من الإسلام، في عصور الانكماش الديني يحاول الناس الانتقاص من الإسلام، كما في عصرنا هذا، قوم يريدون الإسلام ـ كما سبق أن قلنا ـ دينًا بلا دولة، أو صلاةً بلا زكاة، أو عبادةً بلا قيادة، أو مصحفًا بلا سيف، أو زواجًا بلا طلاق، أو سلامًا بلا جهاد.

وقومٌ يريدون الإسلام عقيدةً بلا شريعة، مُجرَّد علاقةٍ بين العبد وربِّه، يريدونه مسيحيَّةً أخرى، يقولون ما قالت المسيحية من قبل: دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله[(٢)].

وآخرون يريدون أن يحذفوا من الإسلام شرائع معَيَّنة، أن يحذفوا الشورى من الحكم، أو يحذفوا العدالة الاجتماعية من الاقتصاد الإسلامي، أو يحذفوا الحدود من الفقه الإسلامي، وهذا مرفوضٌ. فلا يقبل الإسلام التجزئة، أن نأخذ من الإسلام ما يروق، ونترك ما لا يروق، الإسلام كلٌّ لا يتجزَّأ، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

(٢) إنجيل متّى (٢٢/٢١).

QaradawiBooks.com

ادخلوا في شرائع الإسلام جملة، ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، يجب أن يُؤخذ الإسلام كلُّه، ويُؤخذ أخذًا متوازنًا، وأن يُفْهَم فهمًا شُمُوليًّا مُتوازنًا مُتكاملًا.

أفهام مغلوطة يجب أن تُصحَّح:

هناك مَن يفهم الإسلام على غير وجهه، يفهم القَدَر على أنَّ الإنسان مُسيَّر لا مُخيَّر، يفهم الزهد على أنَّه إهمال للحياة الدنيا، يفهم التوكُّل على أنَّه تواكل وقعود عن الأسباب. يجب أن تُصحَّح هذه الأفهام المغلوطة، يجب أن يُصحَّح فَهم الإسلام.

الخلل في فَهم الأولويَّات:

هناك مَن أخلَّ بالنِّسَب بين تعاليم الإسلام بعضها وبعض، فإنَّ الإسلام قد وضع أجورًا للأعمال، كلُّ شيء له أجر.

ففي جانب المأمورات هناك العقائد، وهناك العبادات، وهناك الآداب، كلُّ واحدة من هذه لها مكانها.

وفي الجانب الآخر، جانب المنهيات، هناك الكفر ـ والعياذ بالله ـ والكفر منه ما هو أكبر، ومنه ما هو أصغر، وهناك الكبائر، ومن الكبائر ما هو كبائر فقط، ومنها ما هو أكبر الكبائر، وهناك صغائر المُحرَّمات، وهناك الشُّبُهات، وهناك المكروهات. مراتب بعضها فوق بعض، لا يمكن إذابة الفوارق بينها، أو أن تُجعل كلُّها مرتبة واحدة، كما يفعل بعض المتدينين.

بعض المتدينين يحاسب الناس على المكروه كأنه مُحرَّم، وينظر للمُخْتَلَف فيه كالمتَّفَق عليه، والمُشْتبه كالمقطوع به. لا يجوز هذا، لا بد

QaradawiBooks.com

أن نضع الأشياء في مراتبها، لا بد من فقه المراتب هذا، نحن في حاجة إلى هذا الفَهم، هذا تجديد في فَهم الإسلام لا بدَّ منه، وهو تجديد معنى العودة إلى ما كان عليه الحال في عصور الإسلام المزدهرة.

تجديد الإيمان:

الإسلام ليس فهمًا فقط، وليس فكرًا فقط، غالب الذين يتحدَّثون عن التجديد، يَصبُّون التجديد على الناحيــة الفقهية والفكرية والعقلية فقط، ولكن الإسلام فَهمٌ وإيمانٌ وعملٌ، لا بدَّ أن نُجدِّد إيماننا أيضًا، نحن في حاجة إلى تجديد الإيمان، هذه الأُمَّة لا تُقاد إلا بالإيمان، والإيمان ليس كلامًا يقال، ولا دعوة تُدَّعى، إنَّما الإيمان هو ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل، نحن في حاجة إلى تجديد الرُّوح بالإيمان. الإيمان الذي يجعل من الإنســان بطلًا مِغوارًا، ويُغيِّر في حياته كلَّ شــيء، كما تَغيَّر سحرة فرعون لما آمنوا بربَّ العالمين، ربِّ موسى وهارون، وكما تغيَّر العرب حينما آمنوا بالنبي ﷺ، وكما تغيَّر عمر بن الخطاب بالإيمان وصار شيئًا آخر، وكما تغيَّرت «الخنســاء» من بكَّاءة ندَّابة نَوَّاحة على موت أخيها، إلى أُمٍّ تُقدِّم أبناءها الأربعة للشهادة في سبيل الله، وتقول: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم وجعلهم شهداء في ســبيله[1]. نحتاج إلى تجديد الإيمان في قلوب الأُمَّة.

الحاجة إلى صوفية حقيقية مُعتدلة:

نحن في حاجة إلى صوفية معتدلة حقيقية، صوفية تزرع في القلوب

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٨٢٩)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

الخشـــية من الله، والرجاء في رحمته، نحن في حاجة إلى هذا النوع من التصوف السُّنِّي الإيجابي، التصوف الذي يربي الخُلُق، كما قال ابن القيم نقلًا عن الصوفيـــة المتقدِّمين: التصوف هو الخُلُـــق، فمَن زاد عليك في الخُلُق فقد زاد عليك في التصوُّف[١].

ليس التصوف الذي يقول: دع الملك للمالك، واترك الخلق للخالق، أقام العباد فيما أراد. تصوُّف لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر.

وليس التصوف الذي يُفَرِّق بين الحقيقة والشـــريعة، ويقول: مَن نظر إليهم بعين الشـــريعة مقتهم، ومَن نظر إلى الخلق بعين الحقيقة عذرهم[٢].

وليس التصوف الذي ينشئ العقلية الشركية أو القُبوريِّة أو الخُرَافية.

وليس التصوف الذي يسلُب شـــخصية المريد، وأنَّ مَن قال لشيخه: لِمَ؟ فلن يُفلح. وأنَّ على المريد أن يكون بين يدي الشـــيخ كالميت بين يدي الغاسل.

وليس التصوف الذي يدعو إلى الجَبْرية.

إنَّنا في حاجة إلى تصوف حقيقي ســـلفي معتـــدل، كتصوف الحارث المحاسبي، وابن عطاء الله السكندريّ، وابن دقيق العيد، وابن تيمية، وابن القيم. التصوف الذي يُرقِّي في المسلم المعاني الربانية: التوكل على الله، والإنابة إليه، والرجاء في رحمته، والخشـــية من عذابه، والشكر لنعمائه، والصبر على بلائه، والرضا بقضائه، واستحضار معاني الآخرة؛ كالموت،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٤)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) المصدر السابق (١٥٨/٣).

QaradawiBooks.com

والقبر، والبعث، والحساب، والجنة والنار. واستحضار المعاني الأخلاقية، فكلُّ هذه المعاني في حاجة إلى أن تُجدَّد، وهذا التجديد نحتاج إليه.

تجديد العمل بالإسلام وللإسلام:

ونحن في حاجة إلى تجديد العمل، تجديد العمل بالإسلام، وتجديد العمل للإسلام، نحن نريد أن نعمل بالإسلام، فليس الإسلام قولًا فقط، وليس الإسلام فكرًا فقط، إنما الإسلام قول وفكر وعمل.

إنَّ الله تعالى خلق السماوات والأرض، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملًا، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، أي إنَّ الناس لا يتسابقون ولا يتنافسون في حُسن العمل فقط، بل يتنافسون ويتسابقون في أَحسنيّة العمل، أيُّهم يكون أحسن عملًا. فينبغي علينا أن نعمل، وأيضًا أن نُحْسن العمل، وأن نعمل للدين وللدنيا معًا، فالإسلام دين ودنيا، يجب أن نفهم هذا.

العمل للدنيا والدين:

لا يمكن لنا أن ننصر ديننا إذا أضعنا دنيانا، نحن في بلاد المسلمين بوَّأنا الله أطيب البلاد بُقعة، وأعظم الأماكن رُقعة، وأخصب الأرض تُربة، الثروات في باطن أرضنا مذخورة، وعلى ظاهرها منشورة، ومع هذا نعيش عالة على الأمم، في معظم بلاد المسلمين. نحن للأسف نستورد من غيرنا القوت أو نصفه، أو أقل أو أكثر، وفي الصناعة أيضًا نحن عالة على غيرنا، نحن أُمَّةُ سورة الحديد لم نُتْقن حتى اليوم صناعة الحديد، ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، لم

QaradawiBooks.com

نُتْقن صناعة الحديد، لا الصناعة المدنية، والتي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. ولا الصناعة العسكرية، والتي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

ينبغي علينا نحن المسلمين أن نُتْقن الأمرين معًا: العمل لديننا، والعمل لدنيانا. وبهذا نتقرَّب إلى الله ﷻ، العمل للدنيا عبادة في نظر المسلمين. التفوُّق في كلِّ علم، أو في كلِّ صناعة يحتاج إليها المسلمون فريضة، فرض كفاية، إذا قام بها عدد كافٍ سقط الإثم عن الأُمَّة، وإلا أثمت الأُمَّة عامَّة، وأولو الأمر فيها خاصَّة، نحن في حاجة أن نعمل للإسلام، كما نعمل بالإسلام.

غير المسلمين يعملون لدينهم:

كلُّ أصحاب دين يعملون لدينهم؛ اليهودية عملتْ لدينها، وأقامتْ دولة في قلب ديارنا العربية والإسلامية، سمَّتْها: إسرائيل. ظللنا سنين من الزمن نقول: إسرائيل المزعومة. ثم أصبحت هذه المزعومة تركل هذه الدولة، وتصفع هذه البلدة، وتضرب تلك الجبهة، وتتحدَّى الجبهات كلَّها، فتركنا كلمة المزعومة، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين.

والنصرانية كذلك تعمل لدينها في الأرض، وتُبشِّر به في الشرق والغرب، منذ سنوات اجتمع المنصِّرون في مؤتمر في ولاية «كولورادو سنة ١٩٧٨هـ»، وقدَّموا فيه بحوثًا عن أحوال المسلمين في العالم، وقرَّروا في هذا المؤتمر العمل على تنصير المسلمين في العالم، وأنشأ في ذلك معهد سمَّوه «معهد زويمر»، ورُصد لذلك ألف مليون دولار، وقد نشرت بحوثه في كتاب، ونشرتْ أخباره الصحف، وتحدثتْ عنه المجلات.

QaradawiBooks.com

ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم، فماذا فعلنا نحن المسلمين لديننا؟

نحن نستطيع أن نرصُد مثلهم وأكثر منهم، نستطيع أن نفعل الكثير لو أردنا، فنحن لسنا فقراء ولا ضعفاء، لو أنَّ كل مسلم في العالم دفع دولارًا لجمعنا الألف مليون دولار، كان اليهود قديمًا يقولون لأتباعهم في أمريكا وأوربا: ادفع دولارًا تقتل عربيًّا.

نحن نقول: ادفع دولارا تُنقِذ مسلمًا. لو كان هناك مَن يوقظ المسلمين لاستطعنا أن نفعل الكثير. المسلمون ـ للأسف ـ لم يُقدِّموا لدينهم عملًا كبيرًا، رغم سَعَة الجبهة الإسلامية وعرضها وطولها ورخائها وما تملك من أموال طائلة، رغم هذا كلِّه لم تُقدِّم للإسلام شيئًا يُذكَر، المسلمون يأكل بعضهم بعضًا، والعاملون للإسلام يهدم بعضهم بعضًا.

يا له من دينٍ لو كان له رجالٌ:

قرأتُ أنَّ رجلًا درس الإسلام وأُعجِب به، فقال كلمة لا زلتُ أذكرها، قال: يا له من دين لو كان له رجال! مع أنَّا للإسلام ألف مليون أو مليار مسلم في العالم، ولكن مَن مِن هؤلاء الألف مليون يُعَدُّ من رجال الإسلام؟ إنَّ الألف مليون يُنسَبون إليه، ويُحسَبون عليه، ولكنهم لا يعملون له.

وقفة تقويم ومحاسبة:

نحن في حاجة إلى أن نقف وقفة تقويم ومحاسبة لأنفسنا، إذا أردنا أن نُجدِّد ديننا حقًّا، إنَّ ديننا هو أعظم الأديان، هو الدين الذي كتب الله

QaradawiBooks.com

له الخلـــود، وهو الذي منَّ الله بـــه علينا، وأتمَّ علينا بـــه النعمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولكن الدين لا ينتصر وحـــده، إنما ينتصر الدين برجالـــه، ينتصر بأهله الذيـــن يعملون لـــه كما يعملون بـــه، وصـــدق الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وعادة الســـيف أن يُزْهـــى بجوهره وليس يعمـــل إلا في يـــدي بطل[1]

إنَّنا في حاجة إلى أن نُجدِّد الدين في أنفسنا قبل كلِّ شيء، ولا ننتظر مُجدِّدًا فردًا ينزل من الســـماء، أو تأتي به الخـــوارق ليُجدِّد لنا ديننا، إنَّ المسؤولية مســـؤوليتنا جميعًا، إنَّ من الآفات التي نشكوها: أنَّ هناك من الناس مَن يحاول الفرار من المسؤولية. الشَّـــعب يُلقي المسؤولية على العلمـــاء، والعلماء يُلقون المســـؤولية علـــى الحُكَّام، والحُـــكَّام يُلقون المسؤولية على الاستعمار.

في الحقيقة الجميع مسؤولون، يقول النبي ﷺ: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، والرجل راعٍ في أهله وهو مســـؤول عن رعيَّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومســـؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال ســـيده ومسؤول عن رعيَّته، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته**»[2].

---

(١) البيت من لامية العجم للطغرائي، انظـــر: ديوانه صـ ٣٠٦، تحقيق علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط ٢، ١٩٨٦م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاســـتقراض (٢٤٠٩)، ومســـلم في الإمـــارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

قال أحد الناس لأحد العلماء يومًا: ماذا فعلتم؟ صار لكم أربعون سنة تدعون الناس، ماذا عملتم؟ فقال له العالم: وأنتم صار لكم أربعون سنة تسمعون، فماذا عملتم؟

لماذا يكون العالم وحده مسؤولًا والسامع ليس مسؤولًا؟ الشعب مسؤول، والعلماء مسؤولون، والحُكَّام مسؤولون، كلٌّ على قدر ما آتاه الله ﷻ، كلُّنا مسؤولون عن تجديد هذا الدين، وعن النهوض بهذه الأُمَّة، والوقوف بها على الطريق المستقيم.

آن لنا أن نبدأ، ولنبدأ بعمل صغير، وليحاول كلٌّ منَّا أن يعمل شيئًا، يبذل جُهدًا في حركة التجديد لهذا الدين، لا يجوز لنا أن نسكت ونقول: نحن في آخر الزمان.

العمل إلى آخر نَفَسٍ من أنفاس الحياة:

إذا كان الإسلام طلب من المسلم أن يظلَّ عاملًا لدنياه إلى آخر نَفَس من أنفاس الحياة، كما في الحديث: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل**»[1]. وهذا تكريم للعمل لذات العمل، بأن يظلَّ المسلم عاملًا مِعْطاءً مُنتجًا، إلى أن تلفِظ الحياة آخر أنفاسها، وهذا في أمر الدنيا، فكيف بالعمل للدين؟ وهل الدين أهون عند الله من الدنيا؟

إنَّ على المؤمن أن يظلَّ عاملًا، داعيًا إلى الخير، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، مُقاوِمًا للشرِّ والفساد، متعاونًا مع غيره على البرِّ

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والتقوى، متواصيًا مع إخوانه بالحقِّ والصبــر، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، فهل آن الأوان ـ أيها الإخــوة ـ أن نعمل، ونبذل جُهدنا في حركة التجديد المنشودة لهذا الدين؟ إنَّ الحديث الذي معنا يَمُدُّنا بقوة الرُّوح وروح القوة، ويؤكد لنا أنَّ الله لن يَدَع هذه الأُمَّة دون أن يُهيئ لها مَن يُجدِّد لها دينها.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإيَّاكم ممَّن يُجدِّد الله تعالى بهم دين الأُمَّة، حتى ينتصر هذا الدين وتعلو كلمة الله فــي أرض الله، ويُتِمَّ الله نوره ولو كره الكافرون.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

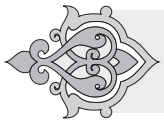

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٤٢
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٢٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٤٢
سورة آل عمران		
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾	١٠٤	٢٢
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٤
﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ ...﴾	١٥٩	٤١
سورة المائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ...﴾	٣	٤٩
﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٤٩	٤٣
سورة الأعراف		
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٢٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٦٢، ٦٣	٢٣، ٤٩
سورة التوبة		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ...﴾	٣٣	٤، ١٦
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ...﴾	٦٠	٤٠
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾	١٠٣	٤٠
سورة يونس		
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾	٤٢	١٩
سورة هود		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾	٧	٤٦
﴿وَمَا تَوۡفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾	٨٨	١٠
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	٣٩
سورة النحل		
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ ...﴾	٨٩	٣٧
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ ...﴾	٩٧	١٩
سورة مريم		
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه		
﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ... ﴾	٢٩ ـ ٣٥	٢٣
﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	٣٦	٢٣
سورة الأنبياء		
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	٩٢	٢٤
سورة الحج		
﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾	٢٨	٣٥
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾	٧١	٢٨
سورة النور		
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	٥٥	١٦
سورة القصص		
﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا ﴾	٣٥	٢٣
سورة الروم		
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٤٧	١٦
سورة غافر		
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾	٥١	١٦
سورة الشورى		
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ... ﴾	٣٨	٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحديد		
﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	٤٦
سورة الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٤٦
سورة المعارج		
﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾	٢٤، ٢٥	٤٠
سورة الشمس		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	٩، ١٠	٣٨

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
الذين يُصلحون ما أفسد الناس بعدي من سُنَّتي	١٤
إن الله ﷻ فرض فرائض فلا تُضيِّعوها، وحرَّم حُرمات فلا تَنتهكوها	٣١
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجدِّد لها دينها	٥، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٤
إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق	٥
إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل	٥٠
ب	
بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء	١٤
خ	
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٢٩
ص	
صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	٣٤
ك	
كاد الفقر أن يكون كفرًا	٣٩
كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيَّته	٤٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا تزال طائفة من هذه الأُمَّة قائمة على الحق، لا يضرُّهم مَن خالفهم	٢٠
لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه	١٥
لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون	٢٣
لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة	٣٠
ليبلغنَّ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر	١٦
م	
مَثَل أمتي مَثَل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره	١٦
مَن أحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ	٤٢
مَن يُجدِّد لها	١٨
المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا	٢٣
و	
وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن نسيًّا	٣١

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

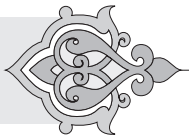

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **تمهيد** **٧**

❖ **تجديد الدين الذي ننشده** **١٣**

سبب اختيار الموضوع ١٤

الأول: مقاومة اليأس من انتصار الإسلام ١٤

الأحاديث المبشِّرات **١٦**

الثاني: الخلط والخبط عند مدعي التجديد ١٧

من المُجدِّد؟ ١٨

ابن تيمية وحركته التجديدية الضخمة ٢١

ضرورة التجديد الجماعي في عصرنا ٢٢

البعض يضيق ذرعًا بوجود أكثر من جماعة تعمل للإسلام ٢٣

مَن المُجدَّد له؟ ٢٤

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ماذا يُجدِّد؟ ٢٥
هذه الأُمَّة تستطيع أن تفعل العجائب ٢٥
الإسلام هو مُحرِّك هذه الأمة ٢٦
نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي جدَّدا دين الأمة ٢٦
المُظفَّر قُطُز وانتصار عين جالوت ٢٦
التجديد ليس منصبًّا على أصول الإسلام ٢٧
الإسلام يحكم أهواء الناس ويضبطها بشرع الله ٢٨
معنى التجديد ٢٩
منطقة محرمة لا مجال فيها للتجديد ٢٩
التجديد في منطقة النصوص الظنيَّة ٣٠
المنطقة الأولى: منطقة النصوص الظنية **٣٠**
المنطقة الثانية: منطقةٌ لا نص فيها **٣١**
منطقة العفو ٣١
الرد على مَن يريدون تطوِير الإسلام كلِّه ٣٢
لا يملك أحد إغلاق باب الاجتهاد ٣٣
المُسْتجَدَّات الكثيرة التي تحتاج إلى اجتهاد في عصرنا ٣٤
الاجتهاد في ثبوت الهلال ٣٤
لا بد من إعمال الرأي وتقديم البدائل عن الحرام ٣٥
الدعوة إلى الاجتهاد من أهله ٣٦
تجديد الفهم للإسلام ٣٦

QaradawiBooks.com

شمول الإسلام لحياة الإنسان ٣٧
الفهم الشُّموليّ للإسلام ٣٧
جاء الإسلام بشُعَب أساسية ثلاث ٣٨
شعبة الفرد **٣٨**
شعبة المجتمع **٣٨**
شعبة الحكم **٣٨**
إصلاح الفرد بالتزكية **٣٨**
إصلاح المجتمع بالعدالة والتكافل ٣٩
الزكاة تنظيمٌ اجتماعيٌّ ٤٠
إصلاح الحُكْم بالشُّورى ٤١
الشُّعَب الثلاث في آيةٍ واحدةٍ من سورة الشُّورى ٤١
الفهم الشُّموليّ المتوازن المتكامل للإسلام ٤١
الإسلام كاملٌ لا يقبل الزيادة ٤٢
الانتقاص من الإسلام مرفوض ٤٢
أفهام مغلوطة يجب أن تُصحَّح ٤٣
الخلل في فَهم الأولويَّات ٤٣
تجديد الإيمان ٤٤
الحاجة إلى صوفية حقيقية مُعتدلة ٤٤
تجديد العمل بالإسلام وللإسلام ٤٦
العمل للدنيا والدين ٤٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة معتمدة

غير المسلمين يعملون لدينهم ٤٧
يا له من دينٍ لو كان له رجالٌ ٤٨
وقفة تقويم ومحاسبة ٤٨
العمل إلى آخر نَفَسٍ من أنفاس الحياة ٥٠

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٥٥**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٥٩**
- **فهرس الموضوعات ٦١**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس كتب المجلد

١١ ـ حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا ٥

١٢ ـ الإسلام حضارة الغد ٩١

١٣ ـ الإسلام والحضارة الغربية ٣٤٩

١٤ ـ حياة المرأة المسلمة في إطار الحدود الشرعية ٣٩١

١٥ ـ الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام ٤٤٧

١٦ ـ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ٥٢٩

١٧ ـ لماذا الإسلام؟ ٦٧٥

١٨ ـ الإسلام كما نؤمن به ضَوابط ومَلامح ٧٢١

١٩ ـ تجديد الدين الذي ننشده ٨١٥

* * *

غير مرخصة للبيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com